(قراءة في المصطلح الفلسفي عند الفارابي)

د. خميس علي محمد العبيدي

عضو هيئة تدريس بقسم الفلسفة

جامعة بنغازي (ليبيا)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد :

من المعلوم أن العرب كانوا يتحدثون العربية بالفطرة ، الأمر الذي مكنهم من أن يحافظوا على هويتهم وثقافتهم، وذلك قبل أن يتسع وجودهم إبان العصر الجاهلي وبداية صدر الإسلام، ولكن بعد أن استحكم الإسلام من نفوسهم وتكونت دولتهم، بدأت الفتوحات الإسلامية ، فوجدوا أنفسهم أمام كم هائل من ثقافات البلاد التي فتحوها شرقا وغربا في فارس والروم والأندلس وغيرها، فكان مما لابد منه ــ وقد أثر العرب وتأثروا بغيرهم من شعوب البلاد المفتوحة، ودخلت في العربية ألفاظ أعجمية، وشاع اللحن وانتشر، مما دعا إلى وضع قواعد تضبط اللسان وتحفظ اللغة من تأثير الألفاظ الأعجمية فيها[١].

ومن أهم المعالم الثقافية التي دخلت إلى البيئة العربية وقام الخواص من العرب بالاهتمام بها: الفلسفة والمنطق؛ فلقد كان هذا الاهتمام قائما على مستوى فردي بادئ الأمر؛ ففي القرن الأول الهجري قام (خالد بن يزيد ٨٥هـ / ٧٠٤م) بترجمة بعض كتب اليونان بصورة فردية شخصية، ومرد ذلك هو أن جمهور الفقهاء كانوا يُحرمون الاشتغال بهذه العلوم[٢]، ويعد (ابن الصلاح ٦٤٣هـ /١٢٤٥م) على رأسهم، حيث ينقل (السيوطي ٩١١هـ /١٥٠٥م) قوله عن المنطق: " (وليس)[٣] الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشرع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين"[٤].

ويُذكر عن (الشافعي) حكمه بالزندقة على كل من يقول الاسم غير المسمى والشيء غير المشيء[٥].

وبقيام الدولة العباسية، وبخاصة في أثناء قيام (يحيى بن خالد بن برمك ١٨٧هـ ــ ٨٠٢م) وزيراً (للرشيد ١٩٣هـ/٨٠٩م) ، بدأت الترجمة للكتب الفلسفية والمنطقية اليونانية تحوز اهتماما أكثر من السابق ، فكانت الهدايا تُمنَح للملوك الرومان لقاء خزائن الكاتب عندهم[٦].

وعندما قام (المأمون ١٩٨هـ/٨١٣) بخلافة الدولة، ارتفع لواء الترجمة ، وصارت على أسلوبين:

فالأول : يقوم على مقابلة كل كلمة يونانية بما رادفها من العربية، ورائده (يوحنا بن البطريق ٢٠٠هـ/٨١٥م) و (ابن ناعمة الحمصي ٢٢٠هـ/٨٣٥م) وغيرهما .

والثاني : إعطاء المعنى الملائم لكل جملة يونانية بجملة في العربية بصرف النظر عما إذا تساوت الألفاظ في الجملتين أم لم تتساو[٧] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي قوبل بها المنطق اليوناني من قِبل جمهور الفقهاء وكثير من اللغويين ، إلا أن كتبه قد تُرجمت في معظمها، وبدأ الاشتغال بها وصارت من معالم الثقافة والفلسفة الإسلامية[٨].

ومن أجل ذلك تنشد هذه الورقة معرفة الكيفية التي تعامل بها الفارابي مع المصطلح الفلسفي، وذلك من حيث المنهج الذي سار عليه، والجديد الذي أضافه في ترجمته وتعريبه.

لقد قدّم كل من (جابر بن حيان ٢٠١هـ ــ ٨١٥م) و(الكندي ٢٥٩هـ ــ ٨٧٣م) أعمالاً قيمة في مجال المصطلح الفلسفي ، وقدّم الفارابي من بعدهما جهودًا عُدّت بمثابة الخط الفاصل بين ما قُدِّم قبله وبين ما جيء به بعده ، وفي هذا الصدد يقول (عبد الأمير الأعسم) : "فاللغة الفلسفية الدقيقة بألفاظها الدالة على معانٍ أكيدة إنما سنجدها فيما بعد عند (الفارابي) والزمان الذي يليه حتى ظهور (ابن سينا)"[١٠].

فللفارابي طريقته ــ كما سيأتي ــ التي تميز بها عن فلاسفة عصره ومفكريه ، إلى درجة أن البعض بات يفرق بين لغة العرب قبل الفلسفة وبين لغتهم التي بعدها[١٠] .

مشروع الفارابي في صياغة المصطلح الفلسفي:

إن عملية نقل المصطلحات الفلسفية وترجمتها من لغة إلى أخرى تحث النقلة على أن يأخذوا في اعتبارهم عوامل بيئية وثقافية وعلمية ودينية، إذ هو نتاج تفاعل بين الأمتين، المنقول منها والتي نُقِل إليها ، وعلى هذا الأساس يحدد (الفارابي). **ثلاث طرق لنقل واختراع المصطلحات الفلسفية**:

فالأولى: وهي الاشتراك في المعاني بحيث ينظر في المعاني العامية للأمة المنقول إليها، ويؤخذ أكثرها شبهاً بالمعنى المنقول فيطلق عليه ، ومثاله مصطلح الجوهر .

والثانية: أن تُنقل الألفاظ على الرغم من غرابتها على أهل الأمة المنقول إليها ، ومثالها: الإسطقس.

والثالثة: أن تُخترع ألفاظ جديدة في حال عدم وجود لفظ عند الأمة المنقول إليها يكون ملائماً لمعنى المصطلح المراد ترجمته، فيخترع لفظٌ جديدٌ من لفظين أو أكثر ، ومثاله: الماهية، الهوية[١١].

وفق ذلك تبدو الطرق متباينة في تعاملها مع المصطلحات الفلسفية، إلاّ أنها في الوقت نفسه متحدة الهدف والغاية ، فالمصطلح الدخيل على أمة ما إما أن يوضع له ما يشابهه في المعنى من لغة الأمة المنقول إليها ، أو ينقل كما هو فيكون متداولاً في لغتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفلسفية ، وإن لم يكن القيام بإحدى تينك الطريقتين، تُخترع أسماء جديدة لتكون معبرة عن هذا المصطلح أو ذاك، فيصير متداولاً ومشاعاً بينهم .

وهذا يدل على "أن (الفارابي) عبّى من مناهل ألفاظ التراجمة وطرق نقلهم . فحلل معانيها وسبل استعمالها ، وعلّلها لغةً فلسفيةً تعكس عقليّة أهل الملّة الجديدة ، رابطاً إياها بالعلوم الدخيلة ، وبخاصة بعلمي المنطق والماورائيّات"[١٢].

والألفاظ التي يتم نقلها بمعانيها من أمة إلى أخرى على اختلاف في الدلالة والاستعمال بين عامة الناس وخاصتهم (أي الفلاسفة) ، فلكل استعماله للألفاظ والمصطلحات انطلاقاً من ثقافته ومستواه المعرفي والفكري ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب الحروف : "والألفاظ المنقولة عن المعاني العامية إلى المعاني الفلسفية فإن كثيراً منها يستعملها الجمهور مشتركة لمعانٍ عامية كثيرة، وتستعمل في الفلسفة أيضاً مشتركة لمعانٍ كثيرة"[١٣] .

ومن هذه المصطلحات مصطلح العَرَض : ومعناه عند العامة : "كل ما كان نافعاً في هذه الحياة الدنيا فقط"[١٥]، فهو يطلق على الدراهم والدنانير وما يشاكلها : من فلوس أو نحاس أو دراهم حديدية ، ويطلق أيضاً على كل ما يتميز بخاصية الكون والفساد ، والعارض هو ما كان حادثاً سريع الزوال[١٥] .

وأما العرض في استعمال الفلاسفة فإنه "يقال على كل صفة وُصِف بها أمر ما ولم تكن الصفة محمولاً حُمل على موضوع ، أو لم يكن المحمول داخلاً في ماهيّة الأمر الموضوع أصلاً ، بل كان يعرّف منه ما هو خارج عن ذاته وماهيّته"[١٦] .

وفق ذلك فالعَرَض ينقسم إلى قسمين :

أ ــ عرض ذاتي : وهو الذي يكون موضوعه هو ماهيته أو يكون جزءاً منها .

ب ــ عرض غير ذاتي : فهو عرض لا يتضمن موضوعه شيئاً من ماهيته .

ولفظ الجوهر : تنظر إليه العامة على أنه : كل الأشياء المعدنية والحجرية التي هي في اعتبارهم نفيسة ، يتفاخرون باقتنائها ، ويتباهون بأثمانها ، كاليواقيت واللؤلؤ والحجارة التي صنعت وعولجت فصارت ذهباً وفضة ... إلخ .

والجمهور يطلقون لفظ الجوهر على الإنسان ذي الفضائل ، حيث يقولون عنه : إنه جوهر نفيس ، أو يقال : فلان جيد الجوهر ، أي حسن الجنس والآباء والأمهات ، وجوهر الشيء ماهيته ، كقولنا : هذا الثوب جيد الجوهر[١٧] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما مصطلح الجوهر عند الفلاسفة : فيطلق على كل مشار إليه لا في موضوع أصلاً ، ويطلق لفظ الجوهر على المحمول الذي يكون تعريفاً للمشار إليه ، سواء كان نوعاً أو جنساً أو فصلاً ، ويطلق أيضاً على كل ما به قوام ذات الشيء ، وفي ذلك يقول المتفلسفة : الحد يعرف جوهر الشيء[١٨] .

وفق هذا يميل الفارابي إلى القول بأن وضع التعريفات رهن بذكر الماهيات، وهو أمر لا يمكن حصوله في كل تعريف تتم صياغته، ومن الأجدر في رأيي صياغة التعريفات بتمييز الموضوع عما سواه فهو أكثر يسرا.

ومصطلح الذات : يعني عند الجمهور النفس ، فهم يقولون مثلاً : زيد بذاته قائم بالحرب، أي بنفسه ومن دون مُعين ، وقولهم زيد بنفسه أي بذاته وهو مستغنٍ عن غيره في كل ما يقوم بفعله[١٩] .

أما عند الفلاسفة فإن الذات يطلق كمصطلح على كل شيء أو على كل مشار إليه ليس في موضوع ، كما يطلق على كل مشار إليه في موضوع [٢٠] ، فعند قول : زيد حيوان عاقل ، فهو قول يعرف ذاتاً في موضوع ، وعند القول : الإنسان حيوان عاقل ، فهو قول يشير إلى ذات (الإنسانية) التي هي ليست في موضوع.

ومصطلح موجود : يستعمل عند الجمهور على مستويين : مطلق ومقيد ، فالمطلق: كقولك وجدت الضالة ، أو وجدت الضالة في مكان كذا، والمستوى الثاني يستعمل فيه الموجود مقيداً ، كقول القائل وجدت زيداً كريماً ، أي عرفته وقد يستعمل العرب في الدلالة على معنى الموجود ألفاظاً : كصادفت أو لقيت[٢١] .

ولكل أمة ألفاظها الدالة على معنى الوجود ، ففي الفارسية (يافت) ، وفي الصغدية (فيرت) ، وكذا في كل لغة[٢٢] .

وعندما بُدِئ في ترجمة العلوم الفلسفية، لم يجد المترجمون ما يقابل (ستين) اليونانية، و(هست) الفارسية ، و(استى) الصفدية ، اللواتي تعنين : وجودية شيء ما على ما هو عليه، فرأى البعض استعمال ضمير الغائب وهو الرابط (هو) مكان تلكم الكلمات ، في حين رأى آخرون استعمال لفظ وجود بتصاريفه المختلفة مكان هو[٢٣] .

في حين أن كلمة موجود دالة عندهم على كل شيء ، فاستعملوا وجد ويوجد وسيوجد، بدلاً من كان ويكون وسيكون .

وبحسب رأي (الفارابي) : إن لفظ موجود يعني : مثالاً أولاً غير دال على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موضوع أصلاً ، ولا على مفعول تعدّى إلى فعل . فهو (أي لفظ موجود) يستعمل عند البعض مكانه هو ، والمصدر منه أي الوجود مكانه الهوية ، في حين كان رأي الفارابي أن يستعمل الفرد أيهما شاء[٢٤] .

أما عند الفلاسفة فلفظ موجود يستعمل على أنه لفظ مشترك يحمل على جميع المقولات المحمولة على مشار إليه ، كما يطلق على كل مشار إليه ، سواء كان في موضوع أو لم يكن ، والأفضل ــ على حد قول (الفارابي) ــ أن يقال إن الموجود هو "اسم لجنس من الأجناس العالية على أنّه ليس له دلالة على ذاته"[٢٥] ، فهو لفظ عام يشمل كل ما هنالك ، وبالتالي فهو جنس لها لأنه يمكن أن يحمل عليها : إنها موجودة، وهو لا يتضمن دلالة على ذاته ، إذ لا يمكن القول إن الموجود موجود أو إن الوجود وجود ، فهو قول زائد ؛ لأن الموجود موجود دون أية محاولة لإجهاد النفس في تحديد أنه يشير إلى وجود الأشياء .

كما يمكن أن يحمل لفظ الموجود ــ إضافةً إلى كونه جنساً ــ على الأنواع بالتواطؤ.

ويستعمل لفظ الموجود على أنه رابطة بين موضوع القضية ومحمولها ، كقولنا : (أميرس) موجود شاعر[٢٦].

وللوجود معانٍ في القضية منها : أن يكون بالقوة في القضية التي محمولها كم لم، وقد يكون بالفعل في القضية التي محمولها اسم[٢٧].

ومن المصطلحات التي تعرض لها (الفارابي) بالبحث والدراسة أيضا، مصطلح الشيء: فهو يحمل على كل ماله ماهية ، سواء كان خارج النفس أو متصوراً على أي وجه كان، منقسماً أو غير منقسم .

ويعقد مقارنة بين استعمال مصطلحي الشيء والموجود ، فالأخير يقال على كل ماله ماهية خارج النفس ، ولا يمكن حمله على الماهيات المتصورة ، أما مصطلح شيء فهو يحمل على كل ماله ماهية ، سواء كان متصوراً داخل النفس أو كان خارجها ، وبهذا يقول :"يكون الشيء أعم من الموجود"[٢٨].

وتستمر المقارنة بين المصطلحين ، حيث إن الموجود يستعمل محمولاً على القضية الصادقة في حين أن الشيء لا يحمل عليها ، حيث إننا نقول : زيد موجود عادل ، ولا يصح القول : زيد شيء عادل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويخلص (الفارابي) من هذه المقارنة قائلا : "فالشيء إذن يقال على كثير مما يقال عليه الموجود، وعلى أمور لا يقال عليه الموجود . وكذلك الموجود يقال على كثير مما يقال عليه الشيء، وعلى ما لا يقال عليه الشيء"[٢٩] .

كان ذلك عرضاً لما قدمه الفارابي من وجهات نظر في استعمال المصطلحات الفلسفية، ابتداءً من ترجمتها وعرض لاستعمالاتها عند الجمهور ، وانتهاءً بطرحها كما يستعملها الفلاسفة ، حيث كان قصده من تحديد تلك التعريفات "التطابق بين اللفظ والمعنى للحد أو التصور"[٣٠].

ومما تقدم ذكره من بحث للأسلوب الإشاري وتطوره وتدرجه في دلالة الألفاظ على المعاني والنهج العقلي الذي سار عليه (الفارابي) ، فإن الإشارة باللفظ على المعنى لموضوع ما تبدأ بالجزئي إلى الكلي الذي يعمه، ويحمل عليه حملاً مطلقاً كما تقدم ، فالتفكير الإنساني يبدأ عادةً من البسيط والأكثر وضوحاً، ثم ينتقل إلى المركب والمجرد والأكثر تعقيداً .

وفق ما تقدم يمكن عرض أهم النتائج كما يلي:

أولا: يمكن اعتبار ما قام به محاولة جادة في تحليل الفكر الدلالي ، فهو يقوم على أسس يمكن تحديدها : الفكر الدال ، والدليل ، والمدلول ، والمدلول عليه ، وهي أسس عند التأمل فيها يتبين ما لها من قيمة كبيرة في الفكر الدلالي بوجه عام ، وفيما قدمه الفلاسفة العرب من بحوث تحليلية قيّمة بوجه خاص.

ثانيا: كما تحسب له درايته الواسعة بكثير من اللغات ، وهو ما مكنه من التعامل مع المصطلحات الفلسفية ، ومع ترجمة الفلسفة ونقلها إلى اللغة العربية.

ثالثا: تعامل مع المصطلح الفلسفي وعرضه انطلاقاً من إدراكه بأن لكل فئة مستواها وأسلوبها في الفهم للمصطلحات والتحدث بها واستعمالها لها ، فالعامة وهم الجمهور هم الأكثرية في كل مجتمع يفهمون المصطلح على طريقة تبدو عمومية، وتميل إلى البساطة وتبتعد عن التعقيدات الفكرية، في حين أن الخواص ــ وهم الفلاسفة ــ لهم منطلقاتهم ولغتهم التي يعبرون بها عن أفكارهم، وإدراكهم لما تعنيه المصطلحات، وطريقة استعمالها ، كل ذلك أدركه في أثناء عرضه لنماذج من تلكم المصطلحات .

رابعا: كان في عرضه للمصطلح الفلسفي يقف على تركيبه اللغوي وبنائه الماورائي المنطقي ، فكان تحليله له يقوم على منهجية النحاة والفلاسفة[٣١] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوامش:

(1) ــ انظر: محمد الطاهر، وشائج المعرفة بين اللغة والفلسفة، مجلة قاريونس ــ جامعة قاريونس، ٢٩ الربيع سنة ٢٠٠٦ ، العدد ٣٠١ ، ص٦ .

(٢)ــ انظر : السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، علق عليه: علي سامي النشار، ط١ ، (مكتبة الخانجي، القاهرة ، د.ت) ص٩ ــ ١٢ .

(٣)ــ هكذا، ويبدو أنها : وليس .

(٤)ــ المصدر السابق، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص٣٠ .

(٥)ــ انظر: المصدر نفسه المصدر نفسه، ص٣١ .

(٦) ــ انظر المصدر نفسه ، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص٧ ــ ٨.

(٧) ــ انظر: المصدر نفسه، ص ١٠ .

وانظر عن الترجمة: حسن عاصي، المنهج في تاريخ الفلسفة العربية،ط١ ،(دار الملاك، بيروت ، ١٩٩١)، ص ٥٩ وبعدها.

(٨) ــ انظر: حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط١،(دار مكتبة الحياة، بيروت ، د.ت)، من ص ٨٤ : ص ٩٦ .

(٩) ــ عبد الأمير الأعسم ، المصطلح الفلسفي عند العرب ، ط٢ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، ١٩٨٩م) ، المقدمة ص٣٧ .

(١٠) ــ انظر : جيرار جهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ط١،(دار المشرق، بيروت- لبنان د.ت) ، ص٩٣ .

(١١) ــ انظر : الفارابي ، كتاب الحروف تحقيق محسن مهدي، د.ط، (دار المشرق، بيروت ، ١٩٧٠م) ص١٥٧ ، ١٥٨ .

وانظر : جيرار جهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، ص١١٠ .

وانظر معاني : الجوهر ، الأسطقس ، الهيولي ، الهوية ، الماهية ، عند : الجرجاني، التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، ط١ (عالم الكتب ،بيروت ،لبنان د.ت) ص١١٢ ، ٤٦ ، ٣١٤ ، ٣١٤ ، ٢٤٧ .

(١٢) ــ جيرار جهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، ص٩٢ .

(١٣) ــ الفارابي ، كتاب الحروف ، ص١٦٠ .

(١٤) ــ الفارابي ــ المصدر نفسه ، ص٩٥ .

وانظر معنى العرض عند : الجرجاني ، التعريفات ، ص١٩٣ .

(١٥) ــ انظر : الفارابي ، كتاب الحروف ، ص٩٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٦) ــ المصدر نفسه ، ص٩٥ .
(١٧) ــ المصدر نفسه ، ص٩٧ ــ ١٠٠ .
(١٨) ــ المصدر نفسه ، ص١٠٠ .
(١٩) ــ المصدر نفسه ، ص١٠٩ ــ ١١٠ .
(٢٠) ــ المصدر نفسه ، ص١٠٦ .
(٢١) ــ المصدر نفسه ، ص١١٠ .
(٢٢) ــ المصدر نفسه ، ص١١١ ، ١١٢ .
(٢٣) ــ المصدر نفسه ، ص١١٢ ، ١١٣ .
(٢٤) - المصدر نفسه ، ص١١٣ ، ١١٤ .
(٢٥) ــ انظر : الفارابي، التعليقات، حققه وقدم له وعلق عليه: جعفر آل ياســين، ط١ (دار المناهل ،بيرت ،لبنان د.ت) ص٦١ . وانظر : الفارابي ، الحروف ، ص١١٥ .
(٢٦) ــ المصدر نفسه ، ص١٢٥ .
(٢٧) ــ المصدر نفسه ، ص١٢٧ .
(٢٨) ــ المصدر نفسه ، ص١٢٨ .
وانظر معنى الشيء عند : الجرجاني ، التعريفات ، ص١٧٠ .
(٢٩) ــ المصدر السابق ، ص١٢٨ .
وانظر أيضاً : زينب عفيفي ، فلسفة اللغة عند الفارابي، د.ط (دار قبــاء للطباعــة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م) ص١١٨ ــ ١٣٣ .
(٣٠) ــ جيرار جهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، ص١٠٠ .
(٣١) ــ المرجع نفسه ، ص٩٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً :المصادر:

١ــ الفارابي، التعليقات، حققه وقدم له وعلق عليه: جعفر آل ياسين، ط١ (دار المناهل، بيرت، لبنان د.ت).

٢ــ الفارابي ، كتاب الحروف تحقيق محسن مهدي، د.ط، (دار المشرق، بيروت ١٩٧٠م).

ثانياً :المراجع:

١ ــ الجرجاني ، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، ط١ (عالم الكتب، بيروت ،لبنان د.ت).

٢ ــ جيرار جهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ط١،(دار المشرق، بيروت، لبنان د.ت).

٣ ــ حسن عاصي، المنهج في تاريخ الفلسفة العربية،ط١ ،(دار الملاكم، بيروت ١٩٩١).

٤ ــ حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط١،(دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت).

٥ــ زينب عفيفي ، فلسفة اللغة عند الفارابي، د.ط (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م).

٦ ــ السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، علق عليه: علي سامي النشار، ط١ ، (مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت).

٧ ــ عبد الأمير الأعسم ، المصطلح الفلسفي عند العرب ، ط٢ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م).

٨ــ محمد الطاهر، وشائج المعرفة بين اللغة والفلسفة، مجلة قاريونس ــ جامعة قاريونس، ٢٩ الربيع سنة ٢٠٠٦ ، العدد ٣٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com